الشعر من (فنّ القول) إلى (مبدإ التعاون)
– نحو مدخل تداولي –

د/خليفة بوجادي. جامعة سطيف/ الجزائر.

1– التداولية؛ في المجال المفهومي..

إنّ المتتبع لدراسة اللغة عموما، يجدها ناشئة غالبا في الحقل الفلسفي أو الحقل الديني، على اختلاف توجهاته ومشاربه، وتلك كانت ميزة الدرس اللغوي قبل دي سوسير؛ حيث نشأت البحوث اللغوية ضمن القضايا الفلسفية أو الدينية. ولم تكن اللغة حينها بمعزل عن الفلسفة، ولكن اجتهاد دي سوسير في محاضراته وإلحاحه على المادة المستقلة للغة عن الفلسفة بغية تأسيس علم مستقل يدرسها (اللسانيات)، جعل البحث اللغوي عموما يبتعد عن الحقل الفلسفي، ليخلص إلى بناه وتراكيبه، وخصائصه.

وبعد مسيرة الاتجاهات البنيوية المختلفة وما بعدها، وربما خلالها، تعود اللسانيات في منتصف القرن العشرين لتستند إلى الدرس الفلسفي ومقولاته، وصار للفلسفة الحديثة أكثر من اتصال باللغة، مما جعلها أحد المصادر الهامة لتطورات اللسانيات الحديثة. وتُذكر في هذا السياق بحوث (روسل) و(فيتغنشتاين) في اللغة المثالية، ثم في اللغة العادية (1) ويرى (فيتغنشتاين) أن اللغة لعبة كسائر اللعب، مستندا في ذلك إلى تشبيه دي سوسير اللغة بلعبة الشطرنج، ومخالفا له في بعض متعلقات اللعب. والكلمات لا تحمل معنى واحدا، ولا تخضع إلى استخدام واحد، هي تماما مثلُ أدوات صندوق النجار؛ حيث تستخدم كل أداة في وظائف متعددة، وليس لكل منها وظيفة محددة لديه. وتُلخص اتجاهات فلسفة اللغة عموما في (2):

- إيضاح القواعد النحوية وأصول اللغات الطبيعية، أو ما يعرف بـــ(الفلسفة التحليلية) وتمثلها أعمال فريج، هوسرل، روسل، فيتغنشتاين،...
- دراسة أفعال الكلام، نحو أعمال: أوستين، سورل.
- التحليل المنطقي للغة واستبعاد الميتافيزياء، أو ما يعرف بـــ(الوضعية المنطقية)، وتمثلها أعمال (رودولف كارناب).
- البنيوية الفلسفية التي تنطلق من البنيوية اللسانية، ولكنها تضيف إليها الاهتمام بالواقع. وهو اهتمام فلسفي لا لساني.
- التيار التأويلي الذي يوسع المدلول إلى أبعد الحدود، نحو أعمال: ديتلي، كيمو، هيدغر، غادامير،...

ومن أهم تأثيرات بحوثها في الدرس اللساني السوسيري أن العلاقة بين الدال والمدلول التي شرحها سوسير، وأوضح أنها اعتباطية، أصبحت علاقة بين الدال وبين بعض تأثيرات بيانه. وقيمة العلامة تصبح قيمة جدالية على الأقل، لا قيمة مستقلة ثابتة، نحو مثال سوسير في تشبيه اللغة بلعبة الشطرنج، فالبيدق — وإن كان لا يحمل قيمته في ذاته- فإن قيمته لا تتحدد، وخطورته لا تبدو، إلا من خلال حركته. وكذلك تتّصف قيم العلامات بالجدلية.(3)

ومن البحوث اللسانية التي أسهمت بوضوح في بروز الدرس التداولي اللسانيات الوظيفية التي تعود إلى جملة بحوث وأعمال لسانية لم تستقر في فترة معينة، ولا عند دارس معين؛ ابتداء من أعمال البراغيين في علم الأصوات الوظيفي وما قدمه ياكبسون في مخطط الاتصال.إضافة إلى ما قدمته المدرسة النسقية بلندن؛ حيث تعد اللغة ظاهرة بشرية متكاملة، ودراستها في مستوياتها الجزئية الصوتية والصرفية النحوية والدلالية تفقدها طابعها التواصلي الذي يميزها. لذلك دعت إلى عدم إغفال أبعادها الثقافية والاجتماعية والنفسية، وطورت في هذا المجال مفهوم "سياق الحال" الذي

يدرس اللغة في سياقها المادي والمعنوي، لأنها ظاهرة سيميائية واجتماعية، وينبغي تفسيرها انطلاقا من هذه المبادئ.

ومن ثمرات الدراسات الوظيفية في السبعينيات النحو الوظيفي، الذي يُعنى بوظيفة اللغة الأساسية (التواصل)، وموضوع اللسانيات في نظره هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم والسامع، مما جعل بعضهم يعدّه نظرية في التركيب والدلالة من وجهة نظر تداولية. وتُقَدّم في هذا المجال بحوث سيمون ديك وأحمد المتوكل.(4) ومما تتناوله الدراسة الوظيفية للجملة، الاهتمام بدراسة الوحدات اللغوية داخل الخطاب، إلى جانب دراسة المحتوى غير اللغوي، الاعتداد بالسياق اللغوي وموقف المتكلم من الخطاب ذاته ومن السامع.

ويُذكر إلى جانب الدراسات الوظيفة، اللسانيات النصّية التي تعدّ اللغة خطابا وهو كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء أكان مكتوبا أم ملفوظا(5). وتحفل أثناء التحليل اللغوي بالدلالات غير الملفوظة، وهي مدرَكة لدى السامع والمتكلم أثناء الحديث، دون علامة معلنة واضحة (6)، نحو: ألا تسلم على الضيف؟ دعوة إلى التسليم، وليست سؤالا. واجتهدتْ كثيرا في أن تَنْسب إلى النص خاصية الفعل الكلامي، وهي وصف الشروط التي ينجز في النص؛ بعَدِّه إنجازا لغويا.

ومن الإسهامات أيضا مبادئ (جرايس) للمحادثة، ونظرية أفعال الكلام، والسيمياء... وغيرها؛ فهي وريث لكثير من المقترحات، نحو: البنيوية، الشعرية، الوظيفية، دراسات المعنى...؛ حيث أمكنها تجاوز الحدود والانغلاق الشكلـــي.

كما ينبغي التنويه بمكتسبات أخرى، نحو: أبحاث اللسانيات الاجتماعية (أعمال لابوف) في التعبير الشفوي، و(قوفمان) في طقوس المحادثة العادية،... واللسانيات النفسية (7). وهي محسوبة أيضا على الاتجاه الاتصالي والوظيفي في اللغة، وأحد مجالات الاتجاه التداولي العام في دراسة اللغة، إلى جانب اللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية.

وتدعو إلى تجاوز الاعتداد بالجملة على أنها الوحدة الأساسية في علم اللغة، وتوسيع مجال القواعد؛ حيث إن الجمل في ذاتها بحاجة إلى عناصر من خارجها للإيضاح والإبلاغ. وتصبح حينها النصوص هي الوحدات الأساسية للتحليل، بوصفها الموضوع الحقيقي والكامل للاتصال اللغوي (8). وليس الكلام إلا نصوصا (أو لغة ذات قيمة نصية) تبتدّى أثناء الاتصال. ومن أهم ما تتجه إليه منذ نشأة نماذجها في مطلع السبعينيات تحديدُ كيفية عمل النصوص في سياق الحياة العملية.

أما اللسانيات التداولية فهي امتداد لما أرساه (بيرس) في القرن التاسع عشر، حين صاغه بـــpragmaticism عام 1905، ثم عدّل مفاهيمه (وليم جيمس). وقوامه أن قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقها على الواقع وصياغتها عمليا. ثم سرعان ما صارت هذه السّمة مميزة للثقـــــافة الأمريكية الحديثة بشكل عام (9)، وهي تسمح بالنظر إلى عالم يموج بالحياة والنشاط، بعيدا عن العالم المصطنع الذي يتخيله الفيلسوف المثالي.

ولئن كانت لا تعترف إلا بمادّية الفعل وواقعيته، فالثقافة العربية تؤيد ذلك، لكنها لا تعزو كل شيء إلى انطباقه عمليا، مما يعكس الجانب الروحي للثقافة العربية وما يرتبط بها. ولفهم حقيقة اللغة، يدعو هذا الاتجاه إلى الاهتمام بما أهملته اللسانيات في الجانب الاتصالي، لا سيما دراسة علاقة اللغة بمستخدميها؛ حيث لا يمكن أن تبقى محصورة في علمي النحو والمعاني، والإلمام بكل العناصر الفاعلة في عملية الإبلاغ.

ولذلك "يمكن فهم التحول البراغماتي في علم اللغة، على أنّه انعكاس لحاجات مجتمعية متغيرّة، مهمّته اجتماعية بوجه عام."(10).

وفيما يتعلق بالمرجعيات الفكرية والثقافية للتداولية، يلخص (أحمد المتوكل) مجموع جهود النظريات اللغوية في القرن العشرين في اتجاهين(11):

الأول: نظريات لسانية صورية، تُعنى بدراسة اللغة الطبيعية، وتعدّها "أنساقا مجردة: يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التواصلية"(12)، وتناولتْها تناولا صوريا صرفا على مستوى التركيب أو على مستوى الدلالة.

الثاني: نظريات لسانية وظيفية، تتجاوز ذلك إلى الاهتمام بظروف الاستعمال، وتقوم على مبدإ أن "اللغات الطبيعية بنيات تحدِّد خصائصَها (جزئيا على الأقل) ظروفُ استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية؛ وظيفة التواصل"(13). هي – إذا– تجعل ظروف الاستعمال مسؤولةً على تحديد طبيعة البنية وتشكيلها؛ حيث لا تصلح هذه البنية إلا لهذا الاستعمال، وعكس ذلك صحيح. ومن نماذج هذه النظريات: التداولية أو ما يعرف بـــ "البراغمانتاكس" (14) التي سنعرض لها فيما بعدُ.

ويستند التفكير التداولي إلى عدة مصادر، ذكرها الباحثون، وهي موزعة بين الفلسفة والمنطق، وبعض نظريات اللسانيات الحديثة؛ نذكر منها (15):

1– الفلسفة اللغوية: تشمل بحوثَ رواد فلسفة اللغة الطبيعية والفلسفة التحليلية، مقابل مدرسة اللغة الشكلية، وتقوم على دراسة كيفية توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال الإبداع. وتلك هي المنابع التي نشأت فيها التداولية في الواقع، من خلال باحثي الفلسفة التحليلية، نحو: (فريج) و(روسل) وفيتغنشتاين،... وجملة ما قدموه في هذا المجال دراستُهم للجوانب الدلالية والجوانب التداولية للغات الطبيعية، وتجاوزوا الفكرة القائلة بأن المشكل الفلسفي يكمن في اللغة ذاتها، إلى تحديده في الاستخدام السليم للغة، ولذلك تجدهم "يلحّون على وصف اللغة في استعمالاتها دون تجريدها من تداولها العادي.." (16)، وحصروا المعنى في "الاستعمال".

ثم أوستين فيما بعد، من خلال محاضراته التي قدمها بجامعة هارفارد في 1955 في فلسفة اللغة، ونُشرت في 1962 بعد وفاته، بعنوان: "كيف ننجز أفعالا

بالألفاظ؟"، ومما ورد فيه أنه ساوى بين بنية اللغة وبنية الفكر، وجعلهما شيئا واحدا. واللغة في مفهومه تتجاوز وظيفة الاتصال إلى وظيفة التأثير، وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية(17).

وكل قول ملفوظ في نظره عمل. وميّز بين نوعين من الملفوظات؛ الملفوظات الثابتة، التقريرية (constatifs) والتي تمثل حالات أشياء، وهي قابلة لأن تكون حقيقية أو خاطئة. والملفوظات الإنجازية (performatifs)*،وترتبط بشروط تحقيقها، التي تحملها حال النطق بها، وبمساعدة بعض الشروط الظرفية الأخرى، نحو: أعلن عن افتتاح الجلسة(18). وبذلك فهو يعارض مبدأ الصدق والكذب الذي يحكم الجملة عموما، لدى المناطقة.

أما بيرس فَيَدينُ له الدّرس التداولي كثيرا، وهو من الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة انطلاقا من مفاهيمها الفلسفية، ويعدها أساس النشاط السيميائي؛ حيث أضحت عنده أوسع من مجالها اللغوي، إلى حد أن الإنسان -حسب قوله – علامة، وحين نفكر فنحن علامة(19). ولذلك عُدّت الأسس السيميائية التي أرساها، أسسا فلسفية تأملية.

وهو يربط فهم اللغة بحال التواصل، ويقرن المعنى بظروف الاستعمال، على نحو ما مرّ مع فيتغنشتاين وأوستين. ومن أهم ما أسهم به في نشأة الدرس التداولي:

- التمييز بين التعبير بعدِّه نمطا، وبين ما يقابله أثناء الاستعمال.
- التمييز بين كل من العلامة، الرمز، الإشارة والأيقونة. وفي هذا الشأن قدم شروحا وافية في مفهوم الدليل؛ حيث يقوم على مبدإ التأويل، ويتنوع بحسب علاقته بموضوعه. والأيقونة تطابق الموضوع صوريا، والأمارة (المؤشّر) تقوم على علاقة العلة بالمعلول (20).

أما موريس فتُصنّف جهوده ضمن البحوث الفلسفية التي درست الدليل وتصوراته الواسعة، وقد جعل التداولية جزءًا من السيميائية؛ تعالج العلاقة بين العلامات

ومستخدميها.(21) ويلح –إلى جانب دراسة بنية اللغة الشكلية– على دراسة علاقة هذه البنيـــة بالموضوعات المتداولة، وبالأشخاص المستعملين لها. وهو أمر، كثيرا ما يُغفَل عنه –في نظره–(22).

ولاتساع حدود التداولية، أقرَّ العديد من الدارسين عدم وضوح معالمها، نحو تصريح (فرانسواز أرمينكو)؛ هي "درس جديد وغزير إلا أنه لا يملك حدودا واضحة... تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية"(23) ، وهي تشغل اهتمام المناطقة والسيميائيين والفلاسفة والسوسيولوجيين والسيكولوجيين والبلاغيين وعلماء التواصل، واللسانيين... وبذلك فهي على مستوى التحليل، لا يمكن أن نصنّفها في أي من المستويات، ولا تدرس جانبا محددا في اللغة، بل تستوعبها جميعا، وليس لها وحدات تحليل ولا أنماط تجريدية(24).

ولعل أول صعوبة تصادف التعريف بالتداولية، تتمثل في الاستقرار على مصـــطلح قارّ

يشمل مقولاتها ومجالاتها العديدة؛ حيث تعددت التسميات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي (Pragmatique)(*) ؛ فقيل: البراغماتية(**) والبراغماتيك، البرجماتية والبراجماتيك، وليس بين هذه الاصطلاحات فرق، بعدِّها نقلا حرفيا للكلمة الأجنبية، وقيل: التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النّفعيّة... وبين هذه التعبيرات –في الواقع– فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة، لتكون مقابلة للمصطلح الأجنبي بمفهومه الذي سيُعرض لاحقا.

لكن مصطلح التداولية الذي استخدمه المتوكل(25)، ومدحه الجيلالي دلاش بالخفة والسلاسة(26)، هو الذي صار مهيمنا على استعمالات الدارسين.

– تُـــجمِع هذه التعريفات على رصد أصلين لنشأة التفكير التداولي:

– الأول: تعريف تشارلز موريس لها؛ حيث عدّها جزءا من السيميائية وأحد مكوناتها؛ تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات، وبين مستعمليها أو مفسريها (متكلم، سامع، قارئ، كاتب...)،وتحديد ما يترتب عن هذه العلامات. كان ذلك حينما شرح أبعاد السيميائية الثلاثة:

– علاقة العلامات بالموضوعات المعبر عنها، وذلك بعد دلالي يهتم به علم الدلالة.

– علاقة العلامات بالناطقين بها، وبالمتلقي، وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال العلامات وتوظيفها. وذلك هو البعد التداولي؛ اهتمام التداولية.

– علاقة العلامات فيما بينها، وذلك بعد تركيبي، يهتم به علم التراكيب.

و لأن التداولية تقوم على دراسة استعمال اللغة، فاهتمامها في مجموع تعريفات هذا الحقل ينصبّ على دراسة العلاقة بين المتكلم والسامع، بكل ما يعتري هذه العلاقةَ من ملابسات وشروط مختلفة؛ حيث تدرس كل العلاقات بين المنطوقات اللغوية وعمليات الاتصال والتفاعل. فموضوعها –إذا– هو التواصل البشري المعتمد على دراسة المقام، والشروط المناسبة لأداء الحديث.

وهي بهذا اختصاص جديد في حقل الدراسات الإنسانية؛ يقول دالاش: "إنه تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث"(27)، ثم يردف ذلك بإجمال تعريفها، بقوله: "هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية"(28). وعُدّت كذلك لأنها تبحث في معرفة مقاصد المتكلم، وأغراض كلامه؛ فالمعنى لا يُستقى من البنية وحدها وهي الجانب اللغوي منه، بل من الجانب السياقي أيضا؛ فقد يكون بعيدا جدا عن الجانب الأول، وعلى السامع أو اللساني إدراك ذلك. نحو قول أحدهم لمن مازال يحادثه في غرفة – مثلا– في وقت متأخر من الليل: "إني متعَب"؛ فمعنى المتكلم هنا، هو: أوقف الحديث، أو دعني أنم، وليس الإخبار بالتعب، وذلك بتوفر شروط معينة طبعا. أو أن

يذكر المتكلم أمرا، وهو يعني أمرا آخر، نحـــو قوله لمن يدخل عليه المكتب ويترك الباب مفتوحا: ألا ترى أن الجو بارد. وقصدُه في ذلك أن: أغلق الباب. وعلى السامع أن يدرك ذلك القصد لنجاح التواصل، وإحداث التفاعل.

وتُدرج ضمن هذه التداولية أيضا، حِكم الحديث لـــ (جرايس) القائمة على "مبدأ التعاون" بين المتخاطبين. والخطاب في نظره "نشاط مقنّن؛ يخضع إلى قواعد، والمشاركون في الخطاب يحترمون مبدأ التعاون"(29). وميز بين أربعة أصناف للقواعد(30) :

-الكمية quantité: أن يكون الخطاب غنيا بالأخبار، بشكل كاف فقط، دون زيادة.

-الكيفية qualité: أن يكون الخطاب صائبا وحقيقيا اعتقادا، ولا يفقد البرهنة على ذلك.

-العلاقة relation: أن يكون دقيقا، وأن تكون المساهمة دالة (ذات بال) للحديث.

-الصيغية (حكم الكلام) modalité: أن يكون واضحا، غير مبهم، موجزا، منظما.

فلو سألنا أحدهم عن المدة التي تستغرقها السيارة من (سطيف) إلى (قسنطينة) وأجاب بقوله: بعضا من الزمن، لكانت إجابته –وفق هذه القواعد– غير كافية؛ لأنه أجاب بأقل من المطلوب (خلافا للقاعدة الأولى، الكمية)، وغير دقيق (خلافا لقاعدة العلاقة) ، ومبهم وغير واضح (خلافا للأخيرة). ويُذكر أن هذه القواعد لاقت رواجا كبيرا بين الشرح والمناقشة والانتقاد.

1- جـــ – في المجال المفهومي لمصطلح (تداولية) في العربية:

لقد عدّلنا عن استخدام (تعريف التداولية), إلى استخدام المجال المفهومي: لأن التداولية في ذاتها– كما سبق– لا تنحصر في مجال معين, فتكتسب تعريفا محددا

ولكن بتعدد مجالاتها, وامتداد اهتماماتها، اكتسبت تعدد مفهوماتها- ولذلك فإن تعبير (المجال المفهومي) سيكون مقاربا بشكل ما لاتساع دلالتها, وموحيا, من ناحية أخرى بهذا الاتساع والامتداد. وسنقف فيما يلي على دلالات المجال المفهومي للمصطلح من الناحية اللغوية.

* **المفهوم المعجمي لـ (التداولية):**

يرجع المصطلح إلى مادة (دَوَل), وقد وردت في (مقاييس اللغة) على أصلين:"أحدهما يدل على تحوّل شيء من مكان إلى آخر, والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة: اندال القوم, إذا تحولوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب، تداولَ القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض. والدَّولة والدُّولة لغتان. ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب, وإنما سميا بذلك من قياس الباب, لأنه أمر يتداولونه, فيتحول من هذا إلى ذاك, ومن ذاك إلى هذا"(31)

فمدار اللفظ لغةً هو التناقل والتحول، بعد أن كان مستقرا في موضع ومنسوبا إليه, وقد اكتسب مفهوم التحول والتناقل من الصيغة الصرفية (تفاعل) الدالة على تعدد حال الشيء كما ينتقل المال من هذا إلى ذاك أو الغلبة في الحرب من هؤلاء إلى هؤلاء ...

ولا تكاد المعاجم الأخرى تخرج من هذه الدلالات: جاء في (أساس البلاغة): "دالت له الدولة, ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه. وعن الحجاج: إن الأرض ستُدال منا كما أدلنا منها (...) وإليه يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم, والدهر دُوَل وعُقَب ونُوب. وتداولوا الشيء بينهم".(32) وفي معاجم أخرى، الدَّولة: انقلاب الزمان من حال إلى حال, الدُّولة: العقبة (النوبة) في المال. وتداولوه: أخذوه بالدول.(33) أي نُوبا, وتداولته الأيدي, أخذته هذه مرة, وهذه مرة.(34)

وخلاصة هذا المفهوم اللغوي, أن من مجالات لفظ (دول):

- الاسترخاء للبطن بعد أن كان في حال أخرى غيرها (اندال البطن).
- التحوّل من مكان إلى مكان (القوم).
- التناقل من أيدي هؤلاء إلى أيدي هؤلاء (المال).
- الانتقال من حال إلى حال(الحرب).
- التمكين من حال دون أخرى (الدَّولة)، ولذلك فرق العسكري بينها وبين الملك: قال:"الدَّولة انتقال حال سارة من قوم إلى قوم, والدُّولة ما يُنال من المال بالدَّولة فيتداوله القوم بينهم, هذا مرة وهذا مرة".(35)

ومجموع هذه المعاني: التحول والتناقل: الذي يقتضي وجود أكثر من حال, ينتقل بينها الشيء, وتلك حال اللغة؛ متحوِّلة من حالٍ لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع, ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم. ولذلك كان مصطلح(تداولية) أكثر ثبوتا –بهذه الدلالة– من المصطلحات الأخرى الذرائعية, النفعية, السياقية...وغيرها.

ومن مجالاته المفهومية بالنسبة إلى اللغة:

– التناقل والتحول في المال أو الحرب بما يحقق الملكة أو الغلبة... وكذلك اللغة تظهر آثار مستخدميها وكأنهم مالكون لها, وتبدو الغلبة في الحديث بينهم, وكأن اللغة نوع من المساجلة.

- الاشتراك في تحقيق الفعل: وكذلك اللغة بمعناها الاجتماعي؛ حين يستخدم الشيء الواحد من قِبل الجماعة.

ولقد تناول (طه عبد الرحمن) هذا المفهوم لتقديم منهج التقريب التداولي للتراث الإسلامي، باقتراحه مفهوم المجال التداولي، وممّا ذكره: "أن الفعل (تداول) في قولنا: (تداول الناس كذا بينهم)، يفيد معنى "تناقله الناس وأداروه بينهم"(36). وجعله قسيما للفعل (دار) الذي من دلالته نقل الشيء وجريانه، نحو قولنا: دار على الألسن؛ جرى عليها، ليخلُص إلى أن المعنى الذي يحمله الفعل هو "التواصل"، ومقتضى التداول –إذا– أن يكون القول موصولا بالفعل(37).

ومن شواهد استخدامه في القرآن الكريم، قوله تعالى: "مَا أفاءَ اللّهُ على رَسُولِه منَ اَهْلِ القُرى فللّهِ ولِلرّسُول ولذِي القُربى واليتامَى والمسَاكين وابن السّبيل كيْ لا يكونَ دُولةً بينَ الأغنياءِ منكمْ"(38) وبيانها: "(كي لا يكون) ذلك الفيء (دولة) يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة في أبواب البر وسبيل الخير."(39)، وفصّل تفسيرها الزمخشري، قائلا: "كي لا يكون الفيء الذي حقّه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بُلْغَة يعيشون بها. جدا بين الأغنياء يتكاثرون به، أو كي لا يكون دولة جاهلية بينهم، ومعنى الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة والدولة والغلبة..."(40). وشرح في موضوع آخر (الدُّولة) بـــ "ما يتداول..."؛ يعني كي لا يكون الفيء شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء... والدَّولة بالفتح بمعنى التداول؛ أي كي لا يكون ذا تداول بينهم أو كي لا يكون إمساكُه تداولا بينهم لا يخرجونه إلى الفُقراء..."(41).

فمجال دلالة (الدُّولة) العام، هو التداول: أن يكون مرة لدى هؤلاء، ومرة لدى آخرين. ولعل أهم معنى يستأثر به هذا اللفظ هو معنى المشاركة، وتعدد مواضع التداول، وهو المعنى الذي تأخذه إحدى اشتقاقاته في قوله تعالى: "ولا تأكُلوا أموالَكم بينكمْ بالبَاطل، وتُدْلوا بها إلى الحكّام..."(42)؛ أي "ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام لتأكلوا بالتّحاكم"(43).

ومنه أيضا، قوله تعالى: "وتلكَ الأيّامُ نُداوِلها بينَ النّاس..."(44) ، وما ذكره صاحب الكشاف بشأنها: " ...نداولها: نُصرّفها بين الناس، نُديتارة لهؤلاءاء وتارة لهؤلاء؛ كقوله: وهو من أبيات الكتاب:

فيوما علينا ويوما لنا ويما نُساء ويوما نُسرُّ

... يُقال داولتُ بينهم الشيء فتداولوه."(45)

2- الشعر؛ في المجال المفهومي..

لا يمكن لهذه المقالة أن تحيط بماهية الشعر ولا بحقيقته، على الرغم مما عُرض من ذلك في الحضارات القديمة والكتابات الحديثة؛ فقد تناوله الفلاسفة اليونان من جوانب عديدة: ماهيته، شكلهن علاقته بالواقع، بالفلسفة، بالأخلاق، ... وغيرها مما كان مجالا لبحث ماهية الشعر وحقيقته. وقد عرف الفلاسفة المسلمون والنقاد العرب كثيرا من هذه المباحث، كما أخذوا عن اليونان بعض آرائهم وأقاويلهم..

فابن رشد على سبيل التمثيل، يحصر مفهوم الشعر في التخييل؛ يقول: " الأقاويل الشعرية هي الأقاويل المخيلة " (46). وكذلك ابن سينا في قوله: " الشعر كلام مخيل "؛ حيث يحصر الشعر في أهم عملية تميزه وهي التخييل التي تعني في أوسع ما تعنيه –لسانيا- الرؤية وتميز المذهب في التصوير.

ثم يشرح المخيل قائلا: "والمخيل هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار. وبالجملة تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري سواء كان القول مصدقا به أو غير مصدق" (47)؛ فالخيال مذهب في الفكر والرؤية والتصوير يستميل السامع ويكسب إذعانه ويشهد انفعاله، من غير النظر إلى صدق القول أو كذبه. ويبدو من خلال هذا المذهب أن أهم ما يميز الشعر هو سلطانه على السامع وتأثيره فيه... بلِ ان " الشعر هو فعل الشعر " –على حدّ تعبير اليوسفي- (48).

فالشعر إذا يؤخذ مفهومه بالنظر إلى ما يُحدثه في نفوس متلقيه أساسا، ولا يعتدّ كثيرا بجوانب أخرى، نحو الشكل، والموضوع، واللغة... وهو مذهب يفتح الفضاء رحبا أمام عوالم الشعر وماهيته، ويتسع لكل التحولات الشكلية والصيغية والموضوعاتية التي يعرفها على مرّ العصور واختلاف تجارب بني الإنسان.

فالنظر إلى هذا السلطان ؛ سلطان التأثير في السامع يجعلنا نقبل بكل التحولات الشكلية عرفتها الحركة الشعرية في جميع مراحلها، ولا مسوغ حينها للحديث عن

قصيدة تفعيلة، او النثر أو العمود.. إذ يصير الأصل والمعيار هو أن تفعل هذه الأشكال الأدبية المختلفة الشعر، بما تحدثه في نفوس متلقيها.

وعلى جانب مماثل، نجد الفارابي يفسر هذا الأثر الذي يحدثه الشعر في متلقيه وكيف ينبني عنه تغيير في السلوك الانفعالي بالرفض أو القبول؛ إذ السلوك ترجمة للأفكار التي هي تابعة للتخييل، يقول: "ويعرض لنا عند استماعنا الأقاويل الشعرية عند التخييل الذي يقع عنها في أنفسنا شبيه بما يعرض عند نظرنا إلى الشيء الذي يشبه ما نعاف: فإننا من ساعتنا يخيل لنا في ذلك الشيء أنه مما يُعاف منه فنتجنبه وإن تيقنا انه ليس في الحقيقة كما خيل لنا فنفعل فيما تخيله لنا الأقاويل الشعرية. وإن علمنا أن الأمر ليس كذلك، كفعلنا لو تيقنا أن الأمر كما خيله لما ذلك القول. فإن الإنسان كثيرا ما تتبع أفكارُه تخيلاتِه".(49)

وإلى ضفة أخرى مجانبة لضفة الفلاسفة، يقدم النقاد العرب القدماء مذاهب عديدة في ماهية الشعر، ولعل أهمها ما أورده ابن طباطبا في عيار الشعر وكأنه يسن للشعر سننا وصفات ملازمة لا يُعرف إلا بها، يقول: هو؛ أي الشعر " كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خُصّ به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع، وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود؛ فمن صحّ طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذف به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه. " (50).

فهو يجمع في هذا النص بين خصائص الشعر الشكلية (النظم الذي يميزه عن النثر، النظم الفني الذي لا تمجّه الأسماع) وبين خصائص تتعلق بالشاعر في ذاته (الطبع والذوق)، وأخرى تتعلق بالمتلقين (التأثير والاستحسان)..

وغير بعيد عن هذا المذهب يصف حازم القرطاجني مصدر الشعر لدى قائله، إضافةً إلى صحة الطبع وسلامة الذوق اللذين ذكرهما ابن طباطبا، فيجعل أهم ما يعتمد عليه

الشاعر في بعث المعاني واستثارتها، هو " التملّؤ من العلم بأوصاف الأشياء وما يتعلق بها من أوصاف غيرها، والتنبّه للهيئات التي يكون عليها التئام تلك الأوصاف وموصوفاتها، ونسب بعضها إلى بعض ... والتفطن إلى ما يليق بها من ذلك بحسب موضع موضع وغرض غرض."(51). فالشعر قبل أن يكون تجاوزا للمألوف –على نحو ما سنرى في النص الموالي– هو إحاطة بالموجودات ومعرفة الأشياء ومتعلقاتها، وإلمام بهيئاتها وخصائصها.. ونظمها وقوانينها. وما إن يتحقق ذلك للشاعر يمكنه أن يتجاوز المألوف وأن يبني على التخييل فيصيب المفارقة واللبس وتغيرات المعنى؛ وهو التعريف الذي يقترحه بعض المحدثين للشعر؛ إذ هو " استخدام المفارقة واللبس وتغيير المعنى ... والترابط غير العقلاني للمقولات النحوية كالتذكير والتأنيث وأزمنة الفعل."(52).

فالشعر أرحب من أن يقف عند الشيء أو الفكرة، لأنه انطلاق وامتداد ورؤية وتخييل وتشوّف وتطلّع... حتى ليكاد يبدو بلغة غير لغة الناس؛ يقول عبد الله حمادي في هذا المعنى وهو يذكر أهمّ ما يعتمده الشعر : " التحدّث للآخرين بلغة غير اللغة التي يتحدث بها الناس جميعا. إنها لغة ممعنة في المجازية تبلغ أحيانا درجة الشذوذ، وشذوذها –إن جاز لنا وصفها هكذا– هو الذي يكسبها رَوْحنة وأسلوبا من نوع خاصّ. ومثل هذه الصفة الجمالية، ليست صفة خاصة بالإبداع ذاته بقدر ما هي مسند يضاف إليه من طرف الملاحظ أو المتلقي ساعة يقظة الشعور بالجمال نفسه".(53)

وأعجبني تحديد عبد الله حمادي لماهية الشعر، قائلا: " إنه (الشعر) لا يقبل الخوض في المعمعة ووظيفته أنه لا يسرد ولا يصف ولا يعلّم ولا يتضمّن حقائق ثابتة. إنه ينطق بلسان العالم دون أن يذكر حالا من أحواله المجردة، أو وجها من وجوهه. يُقرأ إذا قرئ لذاته، يوافر متعة جمالية خالصة وخاصة به. إن الشعر لا يتكلم عن العالم بقدر ما يتكلم بلسان العالم.".(54)

3- نحو مدخل تداولي للشعر

لا تبدو المقاربة بين التداولية والشعر يسيرة، على نحو ما سبق عرضه؛ إذ التداولية فلسفة أصلا،والشعر فنّ أصلا.. وما بين الفلسفة والشعر كما بين العلم والفنّ... فأهم ما يميز الفلسفة عن الشعر أنها تتأسس على التجريد خلافا للشعر الذي يؤسس مادّته في الغالب على عناصر حسية تشكله. إضافة إلى أن غاية الفلسفة هي العلم أما غاية الشعر فتحصُّل بما يُحدثه من فعل الشعر في نفوس متلقيه.

ومع ذلك، فقد قدم لنا تاريخ الأدب نماذج كثيرة عن حضور الفلسفة في الشعر مثلا، وعدم تجافيها عنه، نحو فيما قدمه التوحيدي وجبران ونيتشه.(55)، وقد قال الأحوص من قبل:

وما الشعر إلا خطبة لمؤلف لمنطق حق أو لمنطق باطل

كما أن الجرجاني في (أسرار البلاغة) لم يفصل الشعر عن الخطابة من حيث تلازمهما واشتراكهما في كثير من الخصائص والأغراض. ومع ذلك، فإننا يمكن أن نسجل في هذا الموضع عددا من مواقع التماسّ بين الشعر والتداولية، مما يسمح بالمقاربة بينهما وإمكانية التوسل إلى النص الشعري بمدخل تداولي؛ يتضح ذلك من خلال المتماسّات التالية:

أ – الشعر والتواصل:

تتماسّ التداولية مع الشعر في إحداث التواصل أو الاعتماد على مفهومه؛ إذ أن " كل عمل شعري يعني تواصلا بين المبدع والمتلقي، والتواصل يبدأ بتوصيل رسالة من نوع خاصّ ذات محتوى متصل بالقيم.". (56)

فليس الشعر بعيدا عن غرض الاتصال، بل لا يقوم دون أن يُوجّه إلى متلقّ ما، أو قارئ ما، وهو في هذا يروم التواصل ويقوم عليه.. وهو المبدأ نفسه الذي تعتمده التداولية في تناولها للغة؛ إذ هي استعمال وتواصل.

وإلى جانب هذا المعنى، يستند مفهوم الإيصال في الشعر إلى تسليم الطرف المتلقي بهذا المبدإ وبأهمية فعل المتلقي الذي يقوم به، وبذلك يتم الإيصال؛ يقول المتنبي:

إنما تنفع المقالة في المرء إذا وافقت هوى في الفؤاد

وينبغي أن نقف لدى الغرض من التخييل وهو المعنى الذي يقوم عليه الشعر – فيما سبق عرضه– إذ أنه " يهزّ السامع ويحرّكه" على نحو تعبير الجرجاني في أسرار البلاغة (57)، ويتحول بعد ذلك إلى "فتنة" (58) تسحر السامع وتسلبه لبه.

وعلى مقدار هذا السحر والسلب، وكلما كانت الإثارة الشعرية التي يحدثها التخييل أقوى وأعلى، وبقدر ما حصل الإمتاع في نفس السامع، بقدر ما حصل تجاوبه وانفعاله واتفاقه. وفي هذا يذكر عبد القاهر الجرجاني في موضع آخر من دلائل الإعجاز: " إن الغرض من الكلام، بما في ذلك الخطاب الشعري، إنما هو إيصال غرض المتكلم ومقصوده إلى السامع.".(59)

ولارتباط الشعر بالتواصل، لا أدري لماذا يُغرق كثير من الشعراء الحداثيين – خصوصا– في الإبهام والغموض الذي لا يستطيع السامع أو القارئ استنطاقه.. فبقيت نصوصهم بعيدة عن فعل الشعر –في نظري– وبعيدة عن الآخرين، بما تحمله من رؤى ذاتية ومواقف محدودة. وربما افتقرت إلى عرض جمالي يُحدث أثر الإمتاع الفني لدى السامعين.

ولست ادري ماذا يريد هؤلاء الشعراء أن يقدموا للآخرين إن كان هؤلاء – الآخرون– يمثلون دورا في عمليتهم الشعرية؛ إذ أن –والقول لعبد الله حمادي– "مبدأ الفهم فيه (الشعر) يبقى مرهونا بتوافر المعنى القابل للإدراك من طرف المتلقي، أو بتوافر الاستعداد الفني والجمالي والثقافي الذي يؤهل المتلقي لاستنطاقه أو استجلائه.".(60)

أ– الشعر والفعل: مفهوم الشعر فلسفي؛ إذ تناوله الفلاسفة قديما وبنوا عليه كثرا من تصوراتهم، حين ضبطوا لكل فعل زمنا ومكانا وفاعلا بإرادة... وقد استقى نحاة

العربية قديما من هذا المفهوم المنطقي الفلسفي ما وصفوا به الفعل في العربية، وبنوا عليه تمييز الفعل عن الاسم والحرف، واشترطوا هم أيضا لكل فعل فاعلا وزمنا.

ويُذكر أن بداية الدرس التداولي الحديث انطلقت من مفهوم الفعل في الفلسفة التحليلية، وعلى ما أوضحه أوستين في كتابه **How to do things with words** وقام المذهب التداولي أول ما قام على مبدإ أن اللغة فعل تواصلي، بما يُحدثه من أثر في المخاطبين.

وليس الشعر بعيدا عن هذا المفهوم، وقد مرّ بنا أن "الشعر هو فعل الشعر" (61) بما يحدثه التخييل من أثر في نفس المتلقي وسلوكه الفكري. ودون هذا التخييل ذي الأثر، لا يقوم الشعر. وقد جمع بعضهم عناصر العملية الشعرية من تعريفات الفلاسفة والنقاد للشعر في: قول + جازم + كاذب + محاكاة + تخييل = شعر (62)

فإذا كان المبدأ التداولي في اللغة هو الفعل، فإن مبدأ الشعر هو "الشعر هو فعل الشعر"أو كما عبر حمادي: وغرضه (الشعر) هو الشعر ذاته.

ج- الشعر والنفعية:

قد يكون الشعر أبعد عن مبدإ المنفعة، ولكن بالنظر إلى المبدإ العام للتواصل، ينبغي أن يبلغ الشاعر شيئا، ولا بد أن يحرز السامع فائدة ما ، ولو كانت جمالية أو بيانية. ولعل حالة التناغم والانسجام التي يعرضها النص الشعري هي سبب الجمال ومبعث الأريحية في نفس السامع. وإن نظرة أولى إلى الشعر عند العرب، تقف على أنهم لم يكن ليحيد عن هذا المبدإ، حين قالوا: "الشعر ديوان العرب"، ويعني ذلك أنه يصور حياتهم بكل جوانبها المادية والمعنوية وسائر ضروبها.

وفي قولهم: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا" ارتقاء من نفعية الشعر المادية السابقة إلى نفعية أخرى نفسية روحية؛ يقول ابن طباطبا في ذلك: " تُدفعُ به العظائم، وتُسَلّ به السخائم، وتُجلب به العقول، وتُسحر به الألباب، لما يشتمل عليه من دقيق اللفظ ولطيف المعنى."(63).

ومن ناحية أخرى يرى حازم القرطاجني أن للشاعر رسالة مهمة في حياة جماعته، والشعر وسيلة لنقلا الحياة من حال إلى حال أخرى من الكمال.(64)، وحدد الجاحظ وظيفة الشعر في "تعمير الصدور وصونها من الفساد"(65).

وينتصر عدد من الدارسين لمبدإ جدوى الشعر ونفعيته، ومنهم جابر عصفور حين يقول: "لا ينبغي التشكيك كثيرا في جدوى الشعر إلى حدّ وصم الشاعر بالكذب، ونفي الأخلاق عن الشعر"(66).

وخلاصة ذلك أن الشعر يقوم في أساسه على مبدإ النفعية، بلِ إنها هي رأس ماله الذي يعوّل عليه. ولكنها أيضا ليس بالضرورة أن تكون منفعة أخلاقية أو إخبارية، بل جمالية أيضا وبيانية، تُذعن إليها نفس السامع وتستكين، وتنبسط، وتحيا الأريحية... فيكون من غايات الشعر الفائدة عن طريق الإمتاع. ولعمري ماذا يمكن للشاعر أن يقول، حين لا يذكر قضية، أو ينصر مبدأً، أو يلاعب لغة؟

د- الشعر والواقع:

لئن كانت التداولية تعتمد دراسة اللغة في هيئة تعبيرها عن الواقع، فالشعر أيضا لا يُعدِّم هذه الصفة، مع انه خيال أساسا؛ "لكنه خيال لا يعمل بعيدا عن الواقع" (67). وبقدر ما كانت الإحالات الدلالية في الشعر إلى قضايا ترتبط بالواقع، وبحياة الإنسان، بقدر ما يكون أكثر وقعا على النفس، وأدعى إلى التلقي والقبول من طرف السامعين.

ومن ناحية أخرى تظهر واقعية الشعر في أن الشاعر ذاته لا يمكنه أن يُحرز فاعلية في الخيال —وهي عماد الشعر- إلا بخبرته الواقع الحي والحياة الفاعلة. ولعل مدار الشعر كله هو الإبانة عن الواقع والإخبار عنه، غير أن طرق ذلك تختلف وتتنوع.(68)

ولكننا مع هذه المقاربة لا نُغفل مسألة أساسية، هي أن اللغة ذاتها تعبير عن الواقع وتمثيل له، وهي تجتهد كثيرا في وصفه كما هو، ولما تبلغْ ذلك.. فكيف

بالشعر إذاً، وهو في مرتبة ما فوق اللغة؟ لغة أرقى من الأولى، فسيكون أبعد أيضا، ولكنه يُبقي على خيوط رفيعة تربط المقول الشعري بواقع التجربة، وبواعث القول.

هـ- الشعر ومبدأ التعاون:

يضع حازم القرطاجني شروطا لنجاح تلقي المقول الشعري، منها: أن يكون السامع على استعداد نفسي لذلك، وأن يعتقد بأن الشعر فعالية تقارب فعالية الحكمة. ثم يضيف إلى ذلك حصول التخييل في ذهن المتلقي الذي يتميز بمحصوله الفكري وثقافته.

وختاما.. ما جـدوى المنهـج التـداولي في الشعر؟

أليست التداولية منهجا نابعا من الفلسفة الذرائعية التي تحيل كل شيء إلى الفعل والمنفعة، وبذلك فهي أليق بالكلام العادي وتحليل أنماط التوصل اليومي للأفراد؟ وإذا كان الشعر في لغته ومقاصده تعاليا عن المألوف، وخرقا دائما للمتداول، فكيف تجد التداولية ضالتها في مثل هذه النصوص؟

وقد تجد مثلُ هذه الأسئلة مكانا لها في نفوس كثير من الدارسين وفي كتاباتهم، ولعل بعضهم انبرى للدفاع عن الشعر أمام هذا المنهج، جازما أن بين الشعر فنّا، والتداولية فلسفةً أو منهجا بوْنا لا يمكن اختزاله. وربما دعا آخرون إلى إبعادها عن دراسة الشعر بصفة خاصة، والشعر الجيّد بصفة أخصّ.

بلِ إِن منهم من ناقش المبدأ العام الذي تخضع له اللغة في تداولها، وهو "مبدأ التعاون" رافضا إياه في الشعر مع ما يتفرع عنه من حِكم الحديث أو قواعده لـ (جرايس).

وإذا كانت هذه المبادئ أكثر ارتباطا بالفلسفة والحديث اليومي، أفلا تحمل شيئا مما ينبغي توفره في اللغة؟ وبسؤال أكثر تحديدا: ألا يتسع النص الشعري

للأسئلة: كم، كيف ولِمَ؟ أليس من حق القارئ أو السامع أن يعرف حجم ما يتلقاه، وكيفية عرضه وبواعثه؟

ما الجدوى من الشعر إن كان لا يقدم ، ولا يعرض، ولا ينفع.. وبكلمة: ما الجدوى من الشعر إن كان لا يفعل -بالمفهوم التداولي للفعل-؟ ما هو أصلا؟ وإن غابت هذه الأسئلة جميعا، ما الذي بقي في الشعر، أو جديرا بلقب الشعر..؟

ألا "يمكن فهم التحول البراغماتي في علم اللغة، على أنّه انعكاس لحاجات مجتمعية متغيرّة، مهمّته اجتماعية بوجه عام."(69) وبالتالي فإن القارئ اليوم في هذا التوافد المعرفي وتعدد المداخل إلى القارئ، قد لا يكون مستعدا لسماع أي شيء وكيفما كان، فهو قارئ براغماتي- نفعي أيضا، لا يصرف وقتا في غير منفعة — اعتدادا بكل المنافع التي قد يحملها النص الشعري- ؟ بل أين اليوم القارئ الذي لا يبحث عن شيء في الشعر أو في غيره؟

إن متلقي الشعر في كل حالاته يعتمد مبدأ المنفعة.. لكن مجال انتفاعه غير محدد في أمر ما، ولو كان بالتفرج على تجربة أخرى..

ولعل أهم ما يقدمه المنهج التداولي في الشعر أن له جراءة نادرة في حسم كثير من المواضع المختلف في تأويلها، استنادا إلى معطيات تواصلية خاصة. لأنه ينطلق من الملفوظات اللغوية إلى دراسة الضمني وغير الصريح، وهو اهتمام الدراسات الوظيفية للجملة؛ حيث تُعنى بالوحدات اللغوية داخل الخطاب، إلى جانب دراسة المحتوى غير اللغوي، والاعتداد بالسياق وموقف المتكلم من الخطاب ذاته ومن السامع..

ويكفي هذا المنهج أنه يتكفل بجوانب أساسية في الإبلاغ، قد لا تجد لها مكانا في المناهج الأخرى، فلم الإلغاء إذا، وهو يطلب اليوم تأشيرة الدخول إلى حضيرة المناهج المختلفة، ليسهم في قراءة النص بعدّه تشكيلا متميزا..

الهوامش:

1- ينظر: محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985، ص29 وما يليها.

2- ينظر: بول ريكور: فلسفة اللغة (مقال)، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ع8، خريف 1989، ص15 وما يليها.

3- جون.ر.سورل: من سوسير إلى فلسفة اللغة (مقال)، إشراف ومراجعة مطاع الصفدي، مجلة العرب والفكر العالمي، ع13 و14، ربيع 1991، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص76، 77.
جون.ر.سورل: من سوسير إلى فلسفة اللغة (مقال)، إشراف ومراجعة مطاع الصفدي، مجلة العرب والفكر العالمي، ع13 و14، ربيع 1991، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص76، 77.

4- تذكر في هذا المجال أعمال سيمون ديك في النحو الوظيفي، نحو: functional grammar واعتمد محمد المتوكل عددا منها في تأسيس النحو الوظيفي العربي الحديث، لا سيما في أعماله: الوظيفة بين الكلية والنمطية، والوظائف التداولية في اللغة العربية. ولقد أفاد هذا المبحث أيضا كثيرا من مفاهيم الوظيفة والوظيفية في: Georges mounin : dictionnaire de la linguistique, p142-144
J. dubois et autres : dictionnaire de linguistique, 219-219..

5- ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط2، 2002، ص89.

6- ينظر: المرجع نفسه، ص89.

7- ينظر: -Jean Michel Adem : Eléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, 2ème édition, mardaga, liège, 1990, p09.

8- ينظر: قولفجانج هـ.م.د. فيهقجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمه وعلق عليه ومهد له سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 2004، ص15-18.

9- ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص100 وما يليها.

10- ينظر: قولفجانج هـ.م.د. فيهقجر: مدخل إلى علم لغة النصّ، ص15-16.

11- أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص08.

12- 13- المرجع نفسه، ص 08.

13- المرجع نفسه، ص08.

14- المرجع نفسه، ص08.

15- للاطلاع على هذه المصادر، بشيء من التفصيل، ينظر: - المرجع نفسه. -مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم (4)، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية (المغرب)، 1998. -Jhon .R. searle : les actes de language, essai de philosophie du langage, collection savoir, lecture, Herman, paris, France, 1996, (nouveau tirage).-Philipe Blanchet: la pragmatique d'Austin à Goffman, collection référence, édition, Bertrand-Lacoste, Paris, France, 1995.

16- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة.

17- Austin: quand dire c'est faire, p13-14, introduction.

18- François latraverse : la pragmatique, histoire et critique, pièrre mardaga, éditeur, Bruxelles, Belgique, 1987, p32.

19- ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص15.

20- ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص09.

21- Morris (1938) : cf. infra. P30 à 41 نقلا عن : فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص8.

22- ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

23- فرانسواز أرمينكو: المقاومة التداولية، ص 07، وأنظر الفكرة نفسها في: نفسه (D.M)، ص 45 وما بعدها.

24- ينظر: محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 10.

25- من خلال مؤلفاته العديدة في الموضوع، وأهمّها: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري.

26- ينظر: الجيلاني دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 01

27- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 01. المرجع نفسه، ص 01.

28- المرجع نفسه، ص 01.

29- ينظر: - Gilles siouffi et D.V. reamdonck : 100 fiches pour comprendre la linguistique, p51.

30- هي عند جرايس (قواعد المحادثة)، وعند سورل (شروط النجاح)، وعند ديكرو (قوانين الخطاب)؛ دون اختلاف في عددها أو بيانها. وللتفصيل أكثر، ينظر: - المرجع نفسه، ص 51. والجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 34. وفرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 54-55. ومحمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص 142. وشاهر الحسن: علم الدلالة، ص 170-171.

31- ابن فارس معجم مقاييس اللغة, تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون, دار الجيل ط2, 1991 جـ 2ص314

32- الزمخشري: أساس البلاغة, تحقيق عبد الرحيم محمود, عرف به أمين الخولي, دار المعرفة للطباعة والنشر, بيروت, لبنان, 1982, ص139.

33- ينظر مثلا الفيروز أبادي: القاموس: المحيط, دار الجبل, بيروت, لبنان,(د.ت), ج4, ص42.. و الرازي: مختار الصحاح, دار الجبل, بيروت, لبنان, 1987, ص 215. و الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, لبنان, 1994, م-ج 14, باب اللام, ص 245. وابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، مادة (دول)، مجـ11ص252-253.

34- الرازي: مختار الصحاح, ص 215.

35- العسكري: الفروق في اللغة, مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة , تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط7، 1991، ص182.

36- طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص243.

37- ينظر المرجع نفسه، ص 243-244.

38- الحشر /07.

39- القرآن الكريم وبهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري للتيحيني، مذيّلا بأسباب النزول للنيسابوري، والمعجم المفهرس لمواضيع آيات القرآن الكريم لمروان العطية، قدّم له وراجعه مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، ط7، 1995، ص 546.

40- الزمخشري: الكشاف، جـ4، ص82.

41- المرجع نفسه، جـ4، ص82.

42- البقرة / بعض الآية 188.

43- الزمخشري: الكشاف، جـ1، ص340.

44- آل عمران/ بعض الآية 140 .

45- الزمخشري: الكشاف، جـ1ص466.

46- محمد لطفي اليوسفي: الشعر والشعرية؛ الفلاسفة والمفكرون العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه، الدار العربية للكتاب، 1992، ص 231.

47- المرجع نفسه، ص 232

48- المرجع نفسه، ص232.

49- الفارابي إحصاء العلوم ص85/81 ، عن المرجع نفسه، ص 234.

50- ابن طباطبا: عيار الشعر ¾ ، عن: جابر عصفور: مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2007.

51- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص38.

52- أوستين ورينيه ويليك: نظرية الأدب، ص25.

53- عبد الله حمادي: مفهوم الشعر، (مقال) مجلة (علامات في النقد)، الفلاح للنشر والتوزيع، منطقة الجامعة العربية، بيروت، لبنان، النادي الأدبي، جدة، المجلد 40، جوان 2001، ص 314.

54- المرجع نفسه، ص310-311.

55- مصطفى الجوزو: نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية)، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط1، 1981، ج1، ص255.

56- جابر عصفور: مفهوم الشعر، ص 232.

57- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 217.

58- المرجع نفسه، ص 317.

59- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 55 وما بعدها.

60- عبد الله حمادي: مفهوم الشعر، (مقال) مجلة (علامات في النقد)، ص 316.

61- محمد لطفي اليوسفي: الشعر والشعرية، ص231.

62- المرجع نفسه، ص231

63- ابن طباطبا: عيار الشعر، ص 121.

64- القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص228.

65- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، 145/1.

66- جابر عصفور: مفهوم الشعر، ص229.

67- المرجع نفسه، ص230.

68- محمد لطفي اليوسفي: الشعر والشعرية، ص234.

69- عبد الله حمادي: مفهوم الشعر، (مقال) مجلة (علامات في النقد) ص316.

70- شاهر الحسن: علم الدلالة؛ السيمانتيكية والبراجماتية، ص 159-160، و:

71- robert J.P: dictionnaire pratique de didactique du FLE, p06